﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

[الصافات: 58 - 61]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

مِن رحمة اللهِ تعالى بعبادِهِ المؤمنين أنَّهم لا يموتون مرَّةً أخرى غير موتة الدُّنيا

أخبرَتِ الآياتُ السّابقة بما قاله العبدُ المؤمن لأهل رِفْقَتِهِ في الجنَّة، مِن طلب الاطِّلاع في النّار؛ للوقوف على ما آلَ إليه حال قرينِه الكافرِ، ثمَّ أخبرَتْ بمخاطَبَتِهِ قرينَهُ الكافرَ بعد أنْ رآه في سواء الجحيم قائلًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ ممتنًّا بذلك لربِّه الكريم، الذي عصمَهُ مِن وسوسة ذلك القرين، وأنعم عليه بالإيمانِ، والنَّجاة مِنَ النّيران، و"لمّا تمَّم ذلك الكلامَ مع الرَّجلِ الَّذي كان في الدُّنيا قرينًا له، وهو الآن من أهل النّار؛ عاد إلى مخاطَبة جُلَسائِهِ الَّذين هم من أهلِ الجنَّة، فقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾"[1]، أي: أحقًّا لا نموت بعد هذا، ولا نفارق هذا النَّعيم الذي نحن فيه؟.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: (فوز) كلمتانِ مُتَضادَّتانِ، فالأولى النَّجاةُ، والأُخرى الهَلَكَةُ، فالأولى قَولُهُم: فازَ يَفوزُ؛ إذا نَجا، وهو فائِزٌ، وفازَ بالأمرِ؛ إذا ذَهَبَ بِهِ، وخَلَصَ... والكَلِمَةُ الأخرى قَولُهم: فَوَّزَ الرَّجُلُ؛ إذا ماتَ[2]، والفَوْزُ: الظَّفر بالخير مع حصول السَّلامة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: 11]، والمَفازَةُ قيل: سُمّيت تفاؤلًا للفوزِ، وسُمّيت بذلك؛ إذا وُصِل بها إلى الفوزِ، فإنَّ الفقرَ كما

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 334.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فوز).

يكون سببًا للهلاك؛ فقد يكون سببًا للفوز، فيُسمّى بكلٍّ واحدٍ منهما حسبما يُتَصَوَّر منه، ويَعْرِض فيه[1]، فمعنى ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: أنَّ النَّجاة من الإحضار في الجحيم، وضمانَ النَّجاة من ذَوْق الموت مرَّةً أخرى، والظَّفَرَ بِرِفْقَة أولياء الله تعالى في جنّات النَّعيم؛ لهو السَّلامةُ والسَّعادة التي لا يُقادَر قدْرُها.

2) ﴿ٱلْعَٰمِلُونَ﴾: (عمل) أصلٌ واحِدٌ صَحيحٌ، وهو عامٌّ في كُلِّ فِعْلٍ يُفْعَلُ، قالَ الخَليلُ: عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فَهوَ عامِلٌ، واعتمَلَ الرَّجُلُ؛ إذا عَمِلَ بِنَفْسِهِ[2]، وعَمِلَ عَمَلًا: فَعَلَهُ، أو فعَله بِنوعٍ مِن المشقَّة، أو فعَله بجوارحه، فهو عامِلٌ، جمعه: عَمَلَةٌ وعُمّالٌ، وعَمَّلَهُ: ولّاه عملًا، أعطاه عمالته، أعْمَلَهُ: جعله يعمل، واستعمله: طلب إليه أنْ يعملَ له، والعملُ: المهنةُ والفعلُ، أو هو أخصُّ مِن الفعل، جمع أعمال، والعامل – اسم الفاعل مِن عمِل – الَّذي يتولّى أمورَ الرَّجل في مالِه وملكِه[3]، فمعنى قولِه تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾: لِنَيْلِ مِثل هذا الفوز العظيم في الآخرة؛ فليبذُل المؤمنون، وليجتهدِ المجتهدون طاقتَهم في الحياة الدُّنيا.

المَعْنى الإجْماليُّ:

طريقُ النَّجاة الإيمانُ باللهِ مع ما يتيسَّر من الصّالحات

يقول المؤمنُ لِرُفَقائِه في الجنَّة: أيَدوم لنا هذا النَّعيمُ، فلا نُفارِقه بِالموتِ، ولا يفارِقُنا، فُنُعذَّبُ؟ إذا حصلَ ذلك – وهو عندنا مَصَدَّقٌ بِموجِب وعْد الله تعالى – فَقد ظفِرْنا بِالنَّجاة والسَّلامة ظَفَرًا عظيمًا، إنَّه لَيَعلم هذا يقينًا، ولكن يريد عِلمًا يثبِّت علمَهُ، ويقينًا يؤكِّد يقينَهُ"[4]، تلك الغايات الجليلةُ هي الجديرةُ بأن يَقِفَ المجتهدون عليها نيّاتِهم في عملِهم الأعمال الصّالحة، وأدائهم

(1) الراغب، المفردات: (فوز).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمل).
(3) رضا، معجم متن اللغة: (عمل).
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 985.

العبادات الخالصة لِرَبِّهم الواحد، وأن يَبذُلوا لِنَيْلها كلَّ طاقاتِهم، ويستفرغوا فيها جهودَهم.

وترشدُ الآياتُ إلى أنَّ الفوزَ الحقيقيَّ هو الوصول إلى دار كرامة الله تعالى، فيترتَّب على هذه الفائدة: أنَّ الإنسانَ مهما فاز في الدُّنيا؛ فإنَّ فوزَهُ ليس بشيءٍ بالنِّسبة إلى فوز الآخرة، وإلى أنَّ الذي ينبغي أن يعملَ له العاملُ، ويكدحَ له الكادحُ، ويتعبَ فيه التّاعبُ هو هذا النَّعيمُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ جملة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ ودلالته:

لأهل الجنَّةِ مع بعضِهم لبعض حواراتٌ تترجم اغتباطَهم بفضل الله تعالى عليهم

فُصِلت جملةُ: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ عن جملةِ: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾؛ لِما بينهما مِن كمال الانقطاعِ؛ إذِ اللّاحقة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ إنشائيَّةٌ، والسابقة: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ خبريَّةٌ، والأولى من كلام العبدِ الصّالحِ، وقد تكون الثانيةُ "من كلام أهل الجنَّة بعضهم لبعض سرورًا بذلك، وقيل: هم يسألونَ الملائكةَ عنه، فيقولون: لا، فيقول أهل الجنَّة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، والغريب: هذا مِن تمام كلامِ القرين"[2]، فقائلُ الكلامين - على ذلك - مختلِفٌ، فكان الفصلُ بينهما.

الغرضُ من (الهمزة) في: ﴿أَفَمَا نَحْنُ﴾:

مِنَ الأغراض البلاغيَّة للاستفهام التَّعبيرُ عن شدَّة الفرحة وعِظَم البُشرى

(الهمزة) في قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ استفهاميَّةٌ، غرضها تقريرُ المخاطَبين بتلك النِّعَم العظيمة، نعمةِ النَّجاة مِن معاناة الموت مرَّةً أخرى، ونعمةِ النَّجاة من عذاب الجحيم، الَّذي يقاسيه القرين الكافر ومَن على شاكلتِهِ، فـ "يقولونه على جهة التَّحدُّث بنعمةِ اللهِ عليهم في أنَّهم لا يموتون،

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات، ص: 138.
(2) الكرماني، غرائب التفسير: 2/ 975.

ولا يُعذَّبون؛ ليفرحوا بدوام النَّعيم لا على طريق الاستفهام الحقيقي؛ لأنَّهم قد علموا أنَّهم ليسوا بميِّتين ولا معذَّبين، ولكن أعادوا الكلامَ؛ ليزدادوا سرورًا بتكرارهِ"[1]، وإلى ذلك ففي هذه الآية "استفهامُ تعجُّبٍ؛ يقولونها فيما بينهم فَرَحًا بذلك"[2]، "فإنَّ لِذكر الأشياء المحبوبة لذَّةً، فما ظنُّك بذكر نعمةٍ قد انغمسوا فيها، وأيقنوا بخلودِها؟ ولعلَّ نظمَ هذا التَّذكُّر في أسلوب الاستفهام التقريريِّ؛ لِقصد أنْ يَسمع تَكَرُّر ذِكر ذلك حين يجيبه الرِّفاق بأن يقولوا: نعم ما نحنُ بميِّتين"[3].

معنى (الفاء) في قوله: ﴿أَفَمَا﴾:

(الفاء) في قوله: ﴿أَفَمَا﴾ عاطفة؛ إذ تعطفُ الاستفهامَ (أما نحن بميتين) على الاستفهام في قوله: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾، و"الذي عَطَفَتْ عليه (الفاء) محذوفٌ، معناه: أنحن مخلَّدون منعَّمون، فما نحن بِميِّتين ولا معذَّبين"[4].

لا خلودَ ولا نعيمَ في الدُّنيا

نوع (ما) ودلالتها في قوله: ﴿أَفَمَا﴾:

(ما) في قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ نافيةٌ، حيث يريد أن يقرِّر مخاطَبَهُ بانتفاء عودةِ الموت عليهم - أهل الجنَّة - مرَّةً أخرى بعد موْتةِ الدُّنيا، وفي ذلك امتنانٌ واغتباط بنعمة الله تعالى عليه وعليهم بالتَّوفيقِ للإيمان والعظمة مِنَ القرين الشَّيطان، وتوبيخٌ للقرين الماثل في سواء الجحيم، والله تعالى أعلمُ بطريقة وصول التَّوبيخ إليه؟ ونَفَى المؤمن في الجنَّة أنْ يعاني المؤمنون موْتَةً أخرى غير موتة الدُّنيا؛ "تَبَجُّحًا، وابتهاجًا بما أتاح الله تعالى له من الفضل العظيم والنَّعيم المقيم، وتعريضًا للقرين بالتَّوبيخ، وجوِّز أن يكون هذا النَّفي

سرورُ أهلِ الجنَّة يتضاعف بإحساسِهم بعدم تنغيصِ نعيمِهم بموت آخر

(1) الخازن، لباب التأويل: 4/ 19.
(2) الكرماني، لباب التفاسير: 23/ 95.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 119.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 45.

من كلام المتسائِلين جميعًا، وأنْ يكونَ مِن تتمَّة كلام القائلِ؛ يُسمِع قرينَهُ على جهة التَّوبيخ له، واختير الأوَّل"[1].

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بـ ﴿أَفَمَا نَحْنُ﴾:

آثرَ السّائلُ الفَرِحُ التَّعبيرَ بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ دونَ الفعليَّة من مثل: (أفلَنْ نموت...)؛ وذلك لِما في الاسميَّة مِنَ الدَّلالة على دوام حياة النَّعيم التي لا تفارقهم، ولا يفارقونه، وفرقٌ بين دلالة الدَّوام بتأبيدِ (لن) - على مذهب مَن يقول به - وبين دلالةِ الدَّوام في الجملةِ الاسميَّة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾؛ وذلك لاستصحابِ الفعلِ دلالةَ التَّجدُّد والتَّبدُّل وإن سلبتها (لن)؛ إضافةً إلى ما تتيحُهُ الجملةُ الاسميَّة من تقديم الضَّمير ﴿نَحْنُ﴾ من التَّنبيه على دلالةِ القَصْرِ، وأنَّ المؤمنين بخاصَّة دون الكافرين الجاحدين من يدومون على تلك الحالةِ السعيدةِ، بل إنَّ الكفّار في الجحيم يتمنَّون الموتَ الَّذي يسعدُ المؤمنون بعدم رجوعِهِ عليهم بعد ذلك أبدًا، فالتَّعبير بالجملةِ الاسميَّةِ يقرِّر ذلك المعنى، ويثبِّته، ويمنحه صفةَ الدَّوام.

المؤمنونَ يدومونَ على حياة النَّعيم، التي لا تفارقُهم، ولا يفارقونها

نكتةُ النَّفي في قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾:

في تسليط النَّفي بـ (ما) على الضَّمير ﴿نَحْنُ﴾ تقريرُ ثِقَةِ المتكلِّم المسلم بأنَّهم هم بخاصَّة مَن يغتبطون بعدِم رجوعِ الموت عليهم مرَّةً أخرى، وهذا بمفهوم المخالفةِ يُعطي معنى قصرِ الإفرادِ، فقطع بأنَّ أهلَ الجحيم يتمنَّون الموتَ على الدَّوام، كما يسعدونَ هم بعدمِ رجوعِهِ عليهم أبدًا، فكأنَّه يقول: ما نحن بخاصَّة - دون هذا القرين وأمثالِهِ - بميِّتين مرَّةً أخرى.

الكفّارُ في عذابِهم يتمنَّون الموتَ، بينما يغتبطُ المؤمنونَ بعدم رجوعِهِ عليهم أبدًا

معنى (الباء) في قوله: ﴿بِمَيِّتِينَ﴾:

(الباء) في قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ حرفٌ زائدٌ على أصلِ بنيةِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 90.

الجملةِ الَّذي هو: أفما نحن ميِّتين، وفي زيادة حرف (الباء) دعمُ الحُكْم بِعدم الموت مرَّةً أخرى، وتأكيدُ خلودهم في الجنَّة؛ تصديقًا بِوعْد الله تعالى، وتقريعًا بطريق التَّعريضِ للقرين المعذَّب في سواء الجحيم، ولأنَّ لحرف (الباء) تلك الإضافةَ الدَّلالية المهمَّةَ لا يوصَفُ بالزيادة مطلقًا، بل بالزيادة المقيَّدة بِقَيْدِ (أصل البنية للجملة)؛ تنزيهًا لشيءٍ ورد في القرآن الكريم بالزيادة.

لا يوصفُ عنصرٌ لغويٌّ في القرآن بالزّيادة إلّا مقيَّدة بِقَيْد

إيثارُ التَّعبيرِ بالموت دون الوفاةِ:

اصطفى النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ على لسان المؤمنِ السّائل بالموت في الخبر: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ دونَ التَّعبيرِ بالوفاةِ، ففي مادَّةِ (الوفاة) دلالاتٌ طيِّبةٌ، منها: الوفاء بالعهد، واستيفاء الحقوق، وتوفيتها أهلَها، إلى آخرِ تلك الدَّلالاتِ المدوحةِ المرغوبةِ، والمضمونةِ بالنِّسبة لأهل الجنَّةِ.

يخلو اسمُ الموتِ ممّا في اسم الوفاةِ مِنَ الدّلالات

أمّا الموتُ؛ فليس فيه تلك الإشاراتُ، بل فيه مِن ظلال الشِّدَّة والمعاناة ما يُكرَهُ، ويُحاذَر، وذلك ما يَقصد أهل الجنَّة - ومنهم المتكلِّم هنا - الاغتباطَ للنَّجاة منه.

لطيفةُ جمعِ (ميتين):

في التَّعبيرِ بصيغةِ الجمع في ﴿نَحْنُ﴾، و(ميتين) مزيدُ اغتباطٍ وسعادةٍ برفقةِ الصّالحين؛ وذلك أنَّ مُتْعة المؤمن في الجنَّة المتنعِّم منفردًا لا تَبلُغ متعتُهُ بين أهل وُدِّه، وصُحبته من أهل الإيمان الأنقياء، كما أنَّ في صيغة الجمعِ اعتزازًا بهم وإعزازًا لهم، وتبشيرًا لهم واستبشارًا بهم.

مُتْعةُ المؤمن في الجنَّة أكملُ وأتمُّ بين أهل وُدِّه، وفيه استبشارٌ واعتزازٌ بهم

معنى الاستثناءِ في ﴿إِلَّا﴾:

﴿إِلَّا﴾ في المؤمن: ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ منقطعةٌ؛ لأنَّ الموتةَ الأولى قد مضت، والنَّفي قبلها للموت المستقبل، والمعنى: ما نحن بميِّتين

بعد ذلك، بل هو الخلودُ الأبديُّ في رياض النَّعيم، أمّا الموتةُ الأولى؛ فقد انتَهَتْ، وصارت مِنَ الماضي، وكان لا بُدَّ منها، للانتقالِ من الحياة الدُّنيا إلى الحياةِ الأُخرى، "وعِلْمُهم بأنَّهم لا يموتون ناشئٌ مِن إخبار أنبيائِهم لهم في الدُّنيا، وإعلامهم إيّاهم بأنَّ أهلَ الجنَّة لا يموتون، أو مِن قول الملائكةِ ﷺ لهم حين دخول الجنَّة: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: 73]"[1].

عِلمُ أهلِ الجنَّة بعدم موتهم بإخبارِ أنبيائهم لهم

غرضُ التَّعبيرِ بـ﴿مَوْتَتَنَا﴾، والإضافة فيه:

عبَّر العبدُ الصالح - وهو في الجنَّة - باسم المرَّة (موتة) في قوله: ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾، دون المصدرِ كما لو قيل في غير القرآنِ الكريم: (إلّا موتنا الأوَّل)، وذلك لِما في اسم المرَّة مِنَ الاتِّساقِ بين كونها موتةً واحدةً لا تتكرَّر عليهم أبدًا، وبين المقصودِ مِنَ الدَّلالةِ على أبديَّة البقاءِ في ذلك النَّعيم المقيم؛ فوافقَ اسمُ المَرَّةِ صيغةَ واقعِ الأمرِ حقيقةً.

الصّيغةُ القرآنيَّة للمفردة اللُّغويَّة متَّسقة مع الدَّلالة المقصودة منها أتمَّ الاتِّساق

وعرَّف النَّظمُ الكريمُ (موتة) بالإضافة إلى ضمير جماعة المؤمنين في قوله: ﴿مَوْتَتَنَا﴾ دون تعريفِها بـ (ال) كما لو قيلَ في غير القرآنِ الكريم: (إلّا الموتةَ الأولى)؛ وفي ذلك تمييزٌ لموتةِ المؤمنين بإضافتها إليهم دون إطلاقِها؛ لِخصوصها بما تمتازُ بهِ موتةُ المؤمنِ مِن اليُسرِ والإراحة دونَ عمومِ الموتات، كما جاء في الحديث الشَّريف: "إنَّ العَبدَ المُؤمِنَ إذا كانَ في قُبُلٍ مِنَ الآخِرَةِ وانقطاعٍ مِنَ الدُّنيا؛ جاءَهُ مَلَكٌ، فَجَلَسَ عِندَ رَأسِهِ، فَيَقولُ: اخرُجي أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ إلَى مَغفِرَةٍ مِنَ اللَّه ورِضوانٍ، فَتَخرُجُ نَفسُهُ، فَتَسيلُ، كَما يَسيلُ القَطرُ مِنَ السِّقاءِ"[2].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 90.

(2) أبو داود، السنن، برقم: (4753)، وأحمد، المسند، برقم: (18557) باختلاف يسير، والنسائي، السنن الصغرى، برقم: (2001)، وابن ماجه، السنن، برقم: (1549) مختصرًا.

معنى (ال) في ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾، ونكتةُ الوصف بها:

الموتةُ الوحيدةُ الَّتي لا تتكرَّر في الدُّنيا

(ال) في الوصفِ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ للعهدِ الذِّهني، أي: الموتةُ المعهودةُ في أذهان النّاس جميعًا، ولا يختلفُ حولها اثنان منهم، وهي موتةُ الدُّنيا، ومفارقتهم إيّاها إلى البرزخ، أمّا توجيهُ الوَصف بـ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ فالمقصودُ بـ"الموتة الأولى: الموتةُ الوحيدةُ الَّتي لا تتكرَّر"[1]، "وتوصيفها بالأولى ليس لقصدِ مقابلةِ الثّانية، كما في قولك: حجَّ زيدٌ الحَجَّةَ الأولى، ومات، قال الإسنويُّ في التمهيد: الأوَّل في اللُّغة ابتداءُ الشَّيء، ثم قد يكون له ثانٍ، وقد لا يكونُ، كما تقول: هذا أوَّلُ ما اكتسبتُه، فقد تكتسب بعدَهُ شيئًا، وقد لا تكتسبُ، كذا ذكره جماعةٌ منهم الواحدي في تفسيره والزَّجّاج"[2].

معنى (الواو) في جملة: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:

شـرٌّ مِـن المـوت الَّذي يُتَمنَّى فيه الموتُ

(الواو) في قوله: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ عاطفةٌ، جمعَتْ بين جملتين مَنْفيَّتَيْنِ هما: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ﴾، و﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، والمناسبة بينها جليَّةٌ؛ فالمتكلِّم واحدٌ على الرّاجح، وهو المؤمنُ في الجنَّة، ومهيع الكلام واحدٌ؛ فكلتا الجملتين منفيَّة، والمتحدَّث عنه فيهما يتعلَّق بالآخرة ومقدمتها باعتبار، "وعطف ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ ليتمحَّض الاستفهامُ للتَّحدُّث بالنِّعمة؛ لأنَّ المشركين أيضًا ما هم بميِّتين، ولكنَّهم معذَّبون، فحالُهم شرٌّ مِنَ الموت، وقد قيل لبعض الحكماءِ: ما شرٌّ مِن الموت؟ فقال: الذي يُتَمنَّى فيه الموتُ"[3].

دلالةُ تكرار ﴿وَمَا نَحۡنُ﴾:

كَرَّرَ المتكلِّم المؤمنُ في الجنَّة أداةَ النَّفي (ما) داخلة على ضمير جماعتهم - هو ورفاقه المؤمنين - في جملة: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾،

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 860.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 124.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 119.

وكان يمكن عَطْفُ الخبرين على بعضِهما بعضًا، فيقالُ في غير القرآنِ الكريم: (فما نحن بميِّتين ولا معذَّبين)، غير أنَّه كرَّر هذا الأسلوبَ اغتباطًا بالخبرين في كلٍّ منهما على انفرادِهِ؛ إذ إنَّ كلًّا منهما مَكْرُمةٌ وحدَه، وفي تَعداد الأمور على استقلالها دعْمٌ لفكرتها، وإشادةٌ بقيمتها عند المتكلِّم، وإلى ذلك ففي هذا التَّكرارِ "استمرارُ النَّفي وتأكيده، واستمرار هذا النَّفي نعمةٌ جليلةٌ، وهو متضمِّن نفي زوالِ نعيمِهم المحكيِّ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١﴾ [الصافات: 41] الآيات، فإنَّ زوالَ النَّعيم نوعٌ من العذاب، بل هو من أعظمِ أنواعِهِ، بل تَصَوُّرُ الزَّوال عذابٌ أيضًا لا يَلَذُّ معه عَيْشٌ[1].

تضمَّنُ نفي زوالِ نعيمِ أصحابِ الجنَّة؛ إذ زوالُهُ نوعٌ مِنَ العذاب

وهذا التَّكرار "يكشف عن أمرين: أوَّلُهما: ما يجد أصحاب الجنَّة من نعيم عظيم لم يقع في تصوُّراتهم، ولم يطِفْ بخيالهم؛ فهُم يحرصونَ عليه أشدَّ الحِرص، ويتمنَّون الخلودَ فيه، وقد وعدهم الله الخلودَ في جنّات النَّعيم، كما يقول سبحانه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف: 108]، وثانيهما: ما يراهُ أصحابُ الجنَّة أيضًا، من هذا العذاب الَّذي يلقاه أصحابُ النّار؛ فهم لِهذا يفزعون منه، ويَخشون أنْ يكون لهم نصيبٌ منه.

وقد أمَّنهم اللهُ شرَّ هذه الخواطرِ المزعجةِ، فكانت تحيَّتُهم من الملائكة دائمةً موصولةً، بقولهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر: 73] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: 23 - 24]"[2].

معنى (الباء) في قوله: ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾:

(الباء) في قولِه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ زائدةٌ على أصلِ البِناء التَّركيبي للكلام؛ إذِ الأصل: وما نحن معذَّبين، فزيدتِ الباء دعمًا

تأكيدُ استشعارِ منَّةِ الله عليهم

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 91.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 985.

لمضمون الخبرِ، وتقريرًا له، واستبشارًا واستشعارًا للمنَّة الرَّحمانيَّة ببَيانِ الفارق بين حالِهم وحال منكري البعثِ والحساب.

نكتةُ نفي المؤمنِ التَّعذيبَ عن أهل الجنَّة:

دَرْءُ الضَّرَرِ أهمُّ مِن جَلْبِ المنفعةِ

كان إنكارُ القرين الكافر للبعث بعد الموت والبِلَى في قولِه لصاحبه المؤمن: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾، أي: محاسبون مجزيّون بأعمالِنا، فجاء خبرُ المؤمن هنا دون إثباتِهِ التَّنعيم لهم في الخبر ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ اغتباطًا منه بنجاتِهِ ونجاة رفاقِهِ في الجنَّة من عذاب القرين الكافر، ونفيُ التَّعذيبِ "يتضمَّن نفي الهَرَم واختلال القوَى الذي يوهمه نَفْيُ الموت؛ فإنَّ ذلك نوعٌ من العذاب أيضًا، وأنَّه إنَّما اختيرَ التَّعرُّض لاستمرار نفي العذابِ دون إثباتِ استمرارِ النَّعيم؛ لأنَّ نَفْيَ العذابِ أسرَعُ خُطورًا ببال مَن لم يُعذَّب عند مشاهدةِ مَن يُعذَّب، وقيل: إنَّ ذاك لأنَّ درءَ الضَّررِ أهمُّ من جلب المنفعة"[1].

غرضُ التَّعبيرِ بجملة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:

مِن أدبِ المؤمنين تحاشي نسبةِ ما ظاهره الشَّرُّ إلى الله تعالى

في صوغِ جملة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ اسميَّةً لا فعليَّةً - كقول: (لن نعذب) - تأكيدٌ لِدَيْمومتهم في النَّعيم، وبقائهم بمَنْجاة عن التَّعذيب أبدًا، وصيغةُ اسم المفعول في ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ تتحاشى نسبتهم التَّعذيبَ إلى الله تعالى، بل تتحاشى نسبةَ الأمرِ به إليه ﷻ، فَعَن رسولِ الله ﷺ أنَّه كان إذا قام إلى الصَّلاة؛ قال: "وَجَّهْتُ وجهيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّماواتِ والأرضَ حَنيفًا... والخَيرُ كُلُّهُ في يَدَيكَ، والشَّرُّ لَيسَ إلَيكَ"[2]، وذلك تمام الاتِّساق مع مقام الامتنانِ له ﷻ بنسبة تعذيبٍ يُصَبُّ على المؤمنين إليه ﷻ، ولو على سبيل اللَّفظ.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 91.

(2) مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ صَلاةِ المُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ: 1/ 525 برقم: (2011).

دلالةُ موقعِ جملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ﴾:

فُصِلَتْ جملةُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ عمّا قبلَها؛ لِما بينهما مِن كمال الانقطاع، فالسابقةُ منهما استفهام: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ﴾ واللّاحقة خبريَّةٌ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، والأولى مِن كلام المؤمِنين أو بعضهم قطعًا في الجنَّة، والثانية من كلام الله تعالى؛ "تقريرًا لقولهم وتصديقًا له، وخطابًا لرسول الله وأمَّته، ويقوّي هذا قوله: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾، والآخرة ليست بدار عمَلٍ، ولا يناسب ذلك قول المؤمن في الآخرة إلّا على تَجَوُّز، كأنَّه يقول: لمثل هذا ينبغي أن يعملَ العاملون"[1]، وهذا ما رجَّحه ابنُ عطيَّة[2] وجمعٌ مِنَ العلماءِ؛ بناءً على عطاء السّياق الكريم.

تصديقُ اللهِ كلامَ المؤمنين في الجنَّة، وحكايته خطابًا لرسولِ الله وأمَّته

الغرضُ مِن توكيد الخبرِ في الآية:

أُكِّد الخبر في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ لجلالهِ في ذاتهِ؛ لأنَّ مِنَ الأخبار ما يؤكَّد وإن لم يوجد منكر، كما يقول ابن حجر العسقلاني: "وقد يكون التأكيد من جهة أنَّ القضيَّة في نفسها ممّا يُهتَمُّ بهِ، وإن لم يكن هناك منكرٌ"[3]، وكذا جاء الخبرُ مؤكَّدًا ترغيبًا لنا هنا في الدُّنيا لِنخلص العمل؛ فمِنَ المؤمنين في الدُّنيا مَن يتهاون في أعمالِ الآخرة، كأنَّه يشكُّ فيها؛ فناسب التَّوكيدُ حال تكاسلِهم عن العملِ، وأنزلهم منزلةَ مَن ينكر تلك الحقيقة بأن: ﴿هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾؛ فيُلهب التَّوكيدُ عزيمتَهم على العمل، إضافةً إلى اقتضاءِ حال الكفار ذلك التَّوكيدَ حقيقةً.

إلهابُ التَّوكيدِ عزيمةَ مَن يتهاون في أعمالِ الآخرة

وجهُ مرجعِ الإشارةِ في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾:

الإشارةُ في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ترجعُ إلى نعمةِ العِصمة مِنَ الكفر في الدُّنيا، ونعمةِ النَّجاة من الجحيم، ونعمة

العملُ للآخرةِ ميسورٌ لا مشقَّةَ فيه زائدة على طاقة العبد

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 105.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 475.
(3) ابن حجر، فتح الباري: 1/ 74.

الفوزِ بالجنانِ في الآخرةِ، أي: "لمثل هذه العاقبةِ الَّتي أعطينا نحن، وظفرنا بها، فليعملِ العاملونَ، لا لمثل ما فيه صاحبُهُ الَّذي في النار"[1]، أو أن تكونَ "الإشارةُ إلى ما أخبروا به من استمرارِ نفي الموتِ، واستمرارِ نفي التَّعذيب عنهم"[2]، ويدلُّ القُربُ في الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ على كونه خبرًا لطيفًا حبيبًا، وعلى أنَّ العملَ له ميسور لا مشقَّة زائدة فيه عن طاقة العبادِ، واللّه تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: 7].

معنى (اللام) في قوله: ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ﴾:

(اللام) في الخبرِ ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ مفيدةٌ التَّوكيد، والمعنى: إنَّ هذا لهو الفوزُ العظيم، وبهذا يجتمعُ على تقرير هذا الخبر جملةُ تأكيداتٍ منها: ﴿إِنَّ﴾ في أوَّل الجملة، و(اللام) هنا، واسميَّة الجملة، وفي ذلك تقريرٌ لهذا الخبرِ الَّذي لا يَشُكُّ فيه بعدُ إلّا الجُهّال المخذولون، والعياذ باللّه.

تـأكـيـدُ الـخـبرِ الـقـرآنيِّ بـعـدَّة تأكيدات تقرَّه؛ إذ لا يَشُكُّ فيه شاكٌّ

نكتةُ بناءِ جملةِ الخبرِ على تقديم ﴿لَهُوَ﴾:

ممّا يدعمُ جلالَ هذا الخبر: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، ويقرِّر صدقَهُ بِناؤُهُ على تقديم الضَّمير (هو)؛ إذ إنَّ تقديمَ الضَّمير يعطي دلالةَ القصرِ الحقيقيِّ التَّحقيقي ببنائه على تعريف الطَّرفين ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ﴾؛ فيقرِّر أنَّ عدمَ النَّجاة، والمعاقبة بالإقحام في سواء الجحيم هو الورطةُ العظمى والخسران المبين؛ لأنَّه ثمرةُ غضبِ الإله القهّار، وحين يغضب الجبّار تكونُ الجريمةُ شنعاءَ والذَّنب كبيرًا، أمّا المجازاةُ بالجنانِ؛ فثمرةُ رضوانِ الرَّبِّ الرحمن ﷻ؛ لذا فـ "قد أُبدع في تصوير حُسنِ حالهم بِحَصر الفوز فيه، حتّى كأنَّ كلَّ فوزٍ

تـصـويـرُ حُـسـنِ حال أهلِ الجنَّة بِحَصْرِ الفوز بما هم فيه

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 8/ 566.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 91.

بالنِّسبة إليه ليس بفوزٍ، فالحصرُ للمبالغة لعدم الاعتدادِ بِغيرِه، ثمَّ أُلْحِقَ ذلك الحصرُ بوصفهِ بـ ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾"[1].

معنى (ال) في ﴿ٱلْفَوْزُ﴾، ودلالة التَّعبيرِ به:

"الفوزُ: الظَّفَرُ مع حصول السَّلامةِ، أي: لهو السَّعادة والظَّفر بكلِّ المرادِ؛ إذِ الدُّنيا وما فيها تُحتَقَرُ دونَه، كما تُحتَقر القَطرةُ مِنَ البحرِ المحيط، والحبَّةُ من البَيْدرِ الكبير"[2].

الدُّنيا وما فيها بالنِّسبة إلى الفوز بالآخرة كالقطرة مِن البحرِ المحيط

و(ال) في ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ تعريفيَّةٌ عهديَّةٌ، تأخذ بالأذهان إلى ما وعَد اللّه تعالى به عبادَهُ الصّالحين من رضوانٍ وجنانٍ ونعيم مقيم في الآخرة، ممّا أفصحَتْ عنه الآياتُ السّابقات، وتستوعب (ال) هنا أرقى ما في صفات ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ الجدير بوصف الفوزيَّة من كمالات، وعبَّر به قصدًا دون (الفضل)، ممّا يجعلُهُ ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ الكامل، الَّذي لا يُقاس به غيره مهما ظنَّه الظّانّون فوزًا.

سرُّ الوصف بـ ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ بصيغة (فعيل):

لا فوزَ أعظمُ مِنَ الظَّفر بالنَّعيم الأبديِّ في دار السعادة

يَشترِط النَّظمُ الكريم في ذلك ﴿ٱلْفَوْزُ﴾؛ ليوفّي ذلك الرِّضوانَ وتلك الجنانَ بعد النَّجاة من النّيران حقَّه مِنَ البيان أنْ يكونَ موصوفًا بـ ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ "الذي لا يُقادر قدرُهُ، ولا يمكنُ الإحاطةُ بوصفه"[3]؛ للدَّلالة على الصِّفات الثابتة والمستمرَّة، وللدَّلالة على المبالغة في الصِّفة، المعبِّرة عن الشَّيء الذي تناهى في العظمة.

معنى (اللام) في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾:

العملُ للآخرة سبيل الفوز العظيم، والعمل للدُّنيا سبيل الحسرة والنَّدامة

"هذا تذييلٌ لحكاية حالِ عبادِ اللّه المخلصين؛ فهو كلامٌ من جانب اللّه تعالى للتَّنويه بما فيه عبادُ اللّه المخلصون، وللتَّحريض على العمل بمثل ما عملوه ممّا أوجبَ لهم إخلاصَ اللّهِ إيّاهم"[4]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 120.
(2) حقي، روح البيان: 7/ 463.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 456.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 120.

وهو كلامٌ "لأهل الدُّنيا، أي: قد سمعتم ما في الجنَّة مِن الخيرات والجزاء، فـ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾"[1].

و(اللام) في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ لامُ الأجْليَّة والعلَّة الغائيَّة، أي: فليكن عمَلُ العاملين مبتغيًا تلك الغايةَ الجديرة طامحًا إليها باذلًا الوسع لأجلها، متَّخذًا من رجائها وقودًا يُلْهبه، وأملًا يحتذوهُ، ورجاء يغذوه في سُبُل الوصول.

أمّا العملُ للدُّنيا، والحرص عليها؛ فقِصَرُ نظَرٍ وضَعْف همَّة؛ لا ينشغل به، ولا يحرص عليه إلّا الخائبون المخذولون، و"كلُّ سعيٍ إلى غير هذا المقام هو سعيٌ باطل، وكلُّ عملٍ لِغير هذا المنزِل هو عملٌ لا يُعقِب إلّا الحسرة والنَّدامة"[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمثليَّة في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾:

العملُ لمثل مكافأةِ هؤلاء جديرٌ، فالعمل له مباشرةً أولى

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالمثليَّةِ في قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، أي: لـ "نظيره من نعيمٍ لِمُخلِصين آخرين"[3]، وكان يكفي أن يقالَ في غير القرآن الكريم: (لِهذا فليعمل..)، غير أنَّ زيادةَ لفظ (مثل) توحي برِفْعَة شأنِ المشار إليه درجةً أخرى، وكأنَّ كلمةَ ﴿لِمِثْلِ﴾ تقول: لا لِهذا فقط يعمل العاملون، بل لمثله فليعملوا، وكأنَّ ما كان على حَذوهِ جديرٌ بالعملِ لَهُ، فهو المثال الأعلى الذي يجب أن يسعى إليه المؤمنون، ممّا يزيد التَّشويق والتَّحفيز، ويزيد من رغبتهم في العملِ الصّالحِ، فما الظَّنُّ بالعمل لـ (مثله)؟.

وجهُ مرجعِ الإشارة ﴿هَٰذَا﴾، ودلالته:

تكرارُ الإشارةِ إلحاحٌ على استحضار المشار إليه في الذِّهن للعناية به

سبقَ ذِكرُ الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ "يعني ما ذكره من قوله: ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١﴾ [الصافات: 41]، إلى قوله: ﴿بَيْضَٰٓ

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 420.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 986.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 120.

مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 49]، فليعملِ العاملون، وهذا ترغيبٌ في طلب ثوابِ اللّه بطاعته"[1]، وكان يمكنُ إعادتُها هنا بالإضمارِ، فيقال: (لمثله فليعمل العاملون)، غير أنَّ النَّظمَ الكريمَ آثر تَكرار الإشارة للمشار إليه نفسِه، فقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾؛ وذلك لزيادةِ تمييزِ المشارِ إليه، وهو التَّوفيقُ إلى الإيمان، والعصمة من الكفر وإنكار البعث، وفي هذه الإشارةِ إلحاحٌ على استحضارِ المشارِ إليه في الذِّهن، والعناية به والأخذ بأسبابه؛ ولذلك يكونُ البونُ شاسعًا بين النَّظم الكريم ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، وبين قولنا: وله فليعمل العاملون.

معنى (الفاء) في جملة: ﴿فَلْيَعْمَلِ﴾:

(الفاء) في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ تفريعيَّةٌ؛ إذ فرَّعت الأمر في جملة ﴿فَلْيَعْمَلِ﴾ على تقرير الفوزِ العظيم، والإخبار به عن نعمةِ اللّهِ تعالى، وتوفيقهِ للإيمان، وعصمته من الكفر والضَّلال.

دلالةُ (اللام) في ﴿فَلْيَعْمَلِ﴾:

(اللامُ) في: ﴿فَلْيَعْمَلِ﴾ لامُ الأمرِ النّاصح المرشد إلى سبيل السَّعادة؛ لأنَّ الأمرَ مبنيٌّ ومفرَّع على تأكيد أنَّ نعمةَ اللّه تعالى والفوز بها يتحقَّق بالعمل الرامي إلى الآخرة، والنّاظر إلى الرضوان والفوز بالجنان، والنَّجاة من جحيم النّيرانِ؛ لذلك كان غرضُ الأمر أوسعَ مِن مجرَّدِ التَّكليف بالعمل والإلزام به، وأنَّه "للإرشاد الصادق بالواجبات والمندوبات"[2]، والمقصودُ بالعمل في الأمر ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ أشملُ وأعمُّ، فيشمل العبادةَ القوليَّة والفعليَّة، البدنيَّة والماليَّة، وربط كلِّ عملٍ مهما كان دنيويًّا بنيَّة التَّقرُّب إلى اللّه تعالى، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: 162].

اللّهُ تعالى يُرشِدُ عبادَهُ إلى سبيل السَّعادة الأبديّة، وينصحهم بالعمل له

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 526.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 120.

معنى (ال) في ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾:

الإســـلامُ دينٌ عالميٌّ، لا يُحابي أحدًا على أحد

(ال) في الفاعل ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ لاستغراق الجنسِ، يفيد التَّوجُّه بهذا الأمر النّاصح إلى النّاس كلِّهم بالتَّكاليف الشَّرعيَّة، وتوجُّههم جميعًا إلى الإيمان بالله تعالى، وأن يجتهدوا في أعمالِ الآخرة، وأن يجعلوا أعمالَهم كلَّها أخرويَّة، بإخلاص النّيَّة وتوجيه القصد إلى إرضاءِ الله تعالى، والمعنى: "لِمثل هذا فليجتهدِ المجتهدون، مادام يمكنُهم الاجتهادُ، فإنَّ الدُّنيا دارُ عملٍ، والآخرةُ دارُ جزاء، فبِقَدْرِ ما يُزرَع هنا يُحصَد ثَمَّ، وسيندَم المفرِّط؛ إذا حان وقت الحصاد"[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجناس الاشتقاقي في الآية:

الـدّيـنُ الخاتم يخاطبُ الناس مسديًا النُّصح لهم جميعًا

في اشتقاق الفاعل ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ مِن لفظ الفعل ﴿فَلۡيَعۡمَلِ﴾ جناسٌ ناتجٌ عن تجانس لفظ مع آخر؛ لتشابههما أو ترابطهما في عنصر واحدٍ أو أكثرَ من عناصرها اللَّفظيَّة، مع اشتقاقهما من أصل لغويٍّ واحد، دون اشتقاق الفاعل هنا مِن لفظ الإسلامِ أو الإيمان، فيقال: (فليعمل المسلمون أو المؤمنون)؛ وذلك لِما سَبقَ مِن عدم اختصاصِ هذا النَّصِّ وتوجيههِ إلى المسلمين والمؤمنين فقط، بل توجيهه إلى كلِّ النّاس، فمِن خصائصِ الدّين الخاتم العموم، ومخاطبة كلِّ الناس، وإسداء النُّصح لهم، فمَن أخذَ بهِ؛ فاز، ونَجا، وإلّا فإثمُهُ عليه.

الغرضُ من حذفِ مفعولِ (يعمل):

عـمـومُ العـملِ يحقِّق الفوز

حُذِفَ مفعولُ الفعلِ ﴿فَلۡيَعۡمَلِ﴾، والتَّقديرُ: "يعملون الخيرَ، ويسيرون على ما خَطَّتْ لهم شريعةُ الإسلام، فحُذِف مفعول (يعمل) اختصارًا لِظهورهِ من المقام"[2]، ولطيفةُ حذفِهِ إفادةُ العموم، أي: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ كلَّ أعمالهم، وليخلصوها لله تعالى، فإنَّهم إن فعلوا ذلك؛ فازوا بذلك الفوزِ العظيمِ.

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 600.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 120.

عِلَّةُ التَّقديمِ في ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ على الفعل والفاعل: ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾؛ لإفادةِ دلالةِ القصرِ، "أي: لنيل مثلِ هذا يجب أن يَعمل العاملون، لا للحظوظِ الدُّنيويَّةِ المشوبة بالآلام السَّريعة الانصرام"[1] "وهو قصْرُ قلبٍ للرَّدِّ على المشركين الذين يحسبون أنَّهم يعملون أعمالًا صالحة يتفاخرون بها من المَيْسرِ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: 103 - 104]، والمعنى: لِنَوال مثل هذا، فحُذِفَ المضافُ لِدلالة اللّام على معناه"[2].

لِنَيْلِ الرِّضوان والجنان يجب أن يَعمل العاملون لها لا لغيرها

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفوز والظفر:

الفَوزُ: الظَّفرُ بالخير مع حصول السَّلامة، والظَّفَرُ هو: العُلوُّ على المُناوِئ المنازِع، قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 24]، وقد يُستعملُ في موضع الفوزِ، يقال: ظَفَر ببُغيته، ولا يُستعمل الفوزُ في موضع الظَّفر، فلا يقال: فاز بِعدوِّه، كما يقال: ظفر بعدوِّه بِعينه، وأصله نيلُ الحظِّ من الخير[3].

الفَوزُ الظَّفرُ بالخير مع السَّلامة ونيل الحظِّ من الخير، والظَّفَرُ العُلوُّ على المنازِع

العمل والفعل:

عَمِلَ عَمَلًا: فَعَلَهُ، أو فعَلَهُ بِنوعٍ من المشقَّة، أو فعَله بجوارحه، والعمل: المهنةُ والفعلُ، أو هو أخصُّ من الفعل، والعمل: إيجادُ الأثرِ في الشَّيءِ، يقال: فلانٌ يعمل الطّين خَزَفًا، ويعمل الخوصَ زَنبيلًا، والأديم سِقاء، ولا يقال: يَفعل ذلك، فالفعلُ عبارةٌ عمّا وُجد في حال

العمل أخصُّ من الفِعل وفيه الدَّأبُ، والفعل ما وُجد في حالٍ كان قبلها مقدورًا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 11.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 120.
(3) بيت الله بيات، الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، ص: 340.

كان قبلها مقدورًا، سواءٌ كان عن سببٍ أم لا، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96]، أي: خلقكم وخلق ما تؤثِّرون فيه بِنَحْتِكُم إيّاه أو صَوْغِكم له، وأصلُ العمل في اللُّغة الدَّؤوب، ومنه سُمّيتِ الراحلة يَعْمَلَة[1].

(1) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 377.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»